

تلك البصمة التي يجيد البعض نحتها ، كأمر فنان عالمي ، لم تكن كبصمة صوت تتبتل الآلات بتمييزها ، ولا بصمة أذن يتعسر تقليدها ، ولا بصمة ، ولا بصمة أصبع يمكن التلاعب بها ، ولا يمكن تجميعها بتطابق كقطع البازل لتظهر شكلاً متكاملًا منمقاً ، إنما هي بصمة الأرواح عندما تتطابق بين روحين دون تدخل ، فتشف لها النفس بصفاء نقيير. (جهاد الكريدي)

حالة من الارتباك تظهر على سديم فقلبها لم يعرف معنى الحب من قبل فضلت أن تحفظه لربها ..  
احمرت وجنتاها ولزمت الصمت ولا تدري بماذا تجيب؟ ليقطع شرودها صوت يوسف قائلاً:

- على فكره لو مكنش كويس كنت رفضته على فكرة....طيب تعرفي هو مين؟

أومات برأسها ببراءة الأطفال بالنفي.

- إسلام صاحبي أخو إيمان اللي بتحفظك قرآن... قالها يوسف بفرحة عارمة.  
غمرت الفرحة قلب سديم رغم أنها لا تعرفه ولكن هذا قدر الله... فبادرت موافقتها على الرؤية الشرعية..

---

مر يومان و يتصل يوسف بصديقه إسلام ليخبره على موافقة أهله. تغمر السعادة قلب إسلام فيسرع لإخبار والدته:

- ماما الحمد لله أهل يوسف وافقو.

- ألف مبروك يابني و ربنا يسعدك يارب ... كان نفسي أبوك يكون موجود معانا.

- الله يرحمه ... البركة فيك ياست الكل ربنا يحفظك لنا . ثم قبل يد والدته.

يتصل إسلام بإيمان ليزف لها ذلك الخبر السعيد.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. إزيك يا لومة.

- الحمد لله بخير يا إيمي وإنت ومحمد؟

- الحمد لله بخير.

- حضروا نفسكم عشان الموافقة لسه جايلي حالياً.

- بجد..... الله بقى فرحتني أووووي والله يا حبيبي ألف مبروك.

- الله يبارك فيكي يارب.

شعرت إيمان بسعادة لم تشعر بها من قبل، ولم لا؟ وأخوها الصغير كان بمثابة الأخ الأكبر والأب والصديق والابن.

- طيب هتروح إمتي؟

- تصدقي من فرحتي نسيت اسأل يوسف، قالها إسلام وهو يضحك.

---

تجلس على مكتبها ممسكه بقلمها محاولة أن تعبر عما تشعر بداخلها طالما كان ذلك هو السبيل الوحيد لتعبر عما تشعر به من بعد أن فارقتها صديقتها مريم... تخرج ذلك الدفتر الوردي اللون وتترك العنان لقلبها ليسطر لها ما تشعر به لتكتب قائلة:

" لا أعلم من أنت إلى الآن ولكني أثق في اختيار ربي لي ، أتدري أن دعوتي كانت أن يرزقني الله بمن يحمل كتابه ويعمل به في دنياه، أريدك أن تكون إمامي في صلاتي ، سنداً لي بعد ربي ، ملجأً لنزواتي ، إن أخطأت فلا تصرخ في وجهي فأنا أخاف من ذلك الأمر ولكن ضمنني بين يديك ، احتوني بحنانك ، وصح لي خطأي ، أعدك أنني سأكون لك ما تتمني إن كتب الله لنا نصيباً....."

يقطع صوت رنين هاتفها ما كانت تفعل لترسم تلك البسمة على شفيتها فور رؤيتها المتصل..  
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته قالتها سديم بنبرة تعتليها الحياء؟

- ألف مبروك يا حبيبتي وربنا يارب يتمم على خير يارب.

- الله يبارك فيكي ربنا يكرمك يارب يا إيمان.

- إيمان !!! مالك يا بنتي إحنا صحاب من قبل أي موضوع ما تتكشفيش مني.

- والله مش أقصد بس مرتبكة و مش عارفة أعمل إيه؟

- ولا أي حاجة استخيري وربنا هيكرمك إن شاء الله ... أنا مافتحتكيش في الموضوع قبل كذا بناء على رغبة إسلام قالي لا أنا هدخل الباب من بابيه وأشوف رأي يوسف الأول.

لا تدري سديم ماذا تقول بعد ما سمعته؟ ... فلقد ألقى الله في قلبها شعوراً لم تشعر به من قبل بعد سماعها لتلك الكلمات... لم لا؟ وهو حاملٌ لكتاب الله ويرضي الله - عز وجل - .

انتهت المكالمة مخلفة فرحة عارمة تجتاح قلب سديم فتزجج بجسدها على سريرها ... ثم قالت بعد تنهيدة:

- ياريتك كنتِ معايا دلوقتي يامريم عشان تفرحي معايا..

يزداد قلقها يوماً بعد يوم فهي لم تتصل بها منذ أن غادرت ولم ترسل لها أي رسالة تُطمئن قلبها فتقول:

- يارب طمني عليها ..

وفي اليوم المشهود ، وعلى العهد الموعد ، من الرب المعبود ، تلنقي أرواح تبتلت لرب الوجود.

يجلس إسلام ووالدته في غرفة الصالون مع يوسف ووالده ووالدته وبعد الترحاب:

- منورنا يا بني.

- بنور حضرتك ياعمي.

أوما يوسف برأسه لإسلام ليبدأ في الحديث ولكن سكت إسلام فحياؤه يتغلب عليه.

- إسلام يابابا يبقى أعز أصحابي في الكلية قالها يوسف محاولاً تشجيع إسلام فتابع الأخير قائلاً:

- ربنا يبارك فيك يا يوسف ... يوسف ياعمي يمكن هو صديقي الوحيد في الجامعة..... ثم بدأ إسلام

بالحديث عن نفسه .... وبعد الانتهاء..

- ربنا يحفظك يا بني .... ما تقوم يايوسف تجيب أختك.

- حاضر يابابا.

طرقات على باب غرفتها:

- إيه يا بنتي؟ كل ده؟ الناس قربت تمشي وإنتي قعدالي هنا؟
- خايفة أوي يا يوسف معلش قولهم مش هتقدر تطلع.
- فتبسم يوسف ضاحكاً من قولها ليجيب عليها:
- طيب إيه رأيك أقولهم هربت أحسن؟ .... يالا بلاش دلج.

تخرج سديم من غرفتها تمشي خلف أخيها على استحياء كأنها تختبئ وراء ظهره كأنها تحتتمي به من شيء ما فهذه المرة الأولى التي يراها أحد بدون نقابها....  
تدخل سديم غرفة الصالون وتسلم على والدته إسلام وتذهب وتجلس بجوار والدتها وما زاع بصرها من على الأرض من شدة خجلها..  
لم يرفع إسلام نظره من الأرض فور دخول سديم فالحياء صفة من صفات الرجال... أعجب الوالد من تصرف إسلام ليقول:

- طيب اتفضلتي يا حاجة مع أم يوسف و نسيبهم يتكلموا براحتهم... ويطلب من يوسف أن يجلس بقرب منهم.
- بصوا اعتبروني خيال وسطكم يعني أطرش أعمى وأخرس كمان، قالها يوسف ممزحاً إسلام.
- تتردك في الأفراح يا يوسف، قالها إسلام.

تبتسم سديم رغماً عنها فكلماته أذابت قلبها كما تذوب قطعة الجليد....

- صمت يعم الغرفة لا أحد يتحدث تكفي النظرات أن تعبر عن مشاعرهم ..كلما نظرت إليه سديم وجدته ينظر إليها فترجع وتنظر إلى الأرض ..حتى تلاقت عيونهما في أحد المرات ليتوقف الزمن عند تلك اللحظة ، يشعر كل منهم بأن تلك النظرة أشعلت لهيب الحب بينهما ولكنهما فضلا الكتمان عن البوح.
- اعتدل في جلسته ليقطع ذلك الصمت الذي عم أرجاء المكان ليبدأ بالتعريف عن نفسه قائلاً:
- أنا إسلام يا آنسة سديم صديق يوسف أخوكي .....يصمت قليلاً ثم يقول:
- هو الكلام بقى صعب أوي كدا ليه؟

تبتسم سديم رغماً عنها تلزم الصمت... ويكمل حديثه قائلاً:

- الحمد لله ربنا منّ عليا وحامل لكتابه وربنا يقدرني وأعمل بيه....من بدري إيمان كانت بتتكلم عنك لحد ما استخرت والحمد لله كلمتها في الموضوع وهي فرحت بس قولتها هقول ليوسف الأول والحمد لله يعني...

يطرق الفرح قلب سديم لتسمح له بالدخول مسرورة لذلك الأمر...

يطلب إسلام منها أن تتكلم قليلاً عن نفسها وعن ما تتمناه في حياتها...

تصمت لثوانٍ معدودة ثم تقول :

- أنا نفسي أرضي ربنا في حياتي كلها .... وكل اللي بتمناه إن ربنا يكرمني بحد يتقي ربنا فيا ويخاف على طاعتي وعبادتي والمسائل المادية مش في حساباني أساساً ..

أسعدت تلك الكلمات قلب إسلام مما جعله يتسمك بها أكثر...

تمر السويغات كأنها ثوانٍ معدودة ومعها ينتهي اليوم الذي خلد ذكراه في قلب كلّ منهما.

تبدي والدته إسلام إعجابها بسديم ووالدتها أثناء عودتها مع إسلام متمنية لابنها أن يكرمه الله ويتم أمره على خير.

---

تدخل سديم إلى غرفتها والسعادة تغمر قلبها لتقف بين يدي ربها تشكره على ما رزقها من فضله، انتهت من صلاتها لتتظر خلفها لتجد والدتها تحتضنها و تقول لها في سعادة بالغة:

- مبروك يا حبيبتي ربنا يتملك على خير يا اارب.

- الله يبارك فيكي يا ماما . ثم تقبل يدها.

يمر قرابة الأسبوع، ويتصل والد يوسف ليخبر إسلام على موافقة ابنته ...وتم تحديد موعد الخطبة.

## الفصل السابع عشر

( يومٌ لن يُنسى )

يا لها من لمعة تبتهج لها النفس وترفرر السعادة مُحلقة في سماء أحلامنا، لمعة صفراء تدفؤنا، ليست كخيوط منبعثة من قرص متوهج يزين السماء الدنيا، إنما هي تلك **الفصل** المستديرة التي ترقد أسفل الإصبع ، فعندما تقع العين عليها تملكنا ابتسامة لها مذاق خاص ، حقاً صفراء تسر الناظرين .

( جهاد الكريدي )

يطرق يوسف باب غرفة سديم لتأذن له بالدخول ثم يجلس أمامها لي طرح عليها سؤالاً أخجلها:

- بصراحة كذا إيه رأيك في إسلام؟

لم تستطع أن تجيب من حيائها ولكن مع إصرار يوسف قالت:

- شخص كويس أحسبه على خير .....اكتفت سديم بتلك الكلمات.

ثم بدأ يوسف بالتحدث عن إسلام وما يفعله معه من نصائح له وتذكيره بربه...تستمع سديم لكلمات يوسف وقلبها يرقص على أوتار نبراته .. هكذا عطاء الله لمن حفظ قلبه ونفسه لله...

وفي اليوم الموعد

يصل إسلام وعائلته لمنزل المهندس جمال المصري ليرحب بهم الآخر ترحيباً يليق بتلك المودة التي أصبحت بينهم..

- ربنا يعزك يا عمي.... ده محمد جوز أختي وإيمان أختي.

- أهلا وسهلاً نورتونا يا بني .... أهلا أستاذ محمد.

- أهلا بحضرتك يا بشمهندس.

يتجه يوسف ليحضر سديم من غرفتها ليتفاجأ أنها ترتدي النقاب.  
- إيه ده .....إنتي حتى لابساه يوم خطوبتك؟، قالها يوسف بعتاب لها.  
- آه يا يوسف هو شافني مرة وخلص وبعدين أنا أكشف وشي إزاي و جوز أخته بره ولا هو ولا حد  
تاني هيشوفني ..

شعر يوسف بخجل شديد من نفسه ولا يدري ماذا يقول؟ ولكنه أسرع في تدارك الموقف ليقول :

- بس إيه القمر ده .....الواد إسلام أمه دعياله بجد.  
شعرت سديم ببرودة تجري في عروقها بدلاً من دمها فتتظر أسفل منها من شدة خجلها.  
تخرج سديم من غرفتها بصحبة يوسف.... تغمر السعادة العائلتين فكان الجو عائلياً بناء على طلب إسلام  
جلست سديم على ذلك الكرسي بجانب إسلام .... يشعر كل منهما أن القلب لم يعد بمكانه من شدة فرحه  
استجمع قواه و نظر إليها ليرى عينيها يعتليها بريق من شدة سعادتها ...تبادلت ذلك الشعور معه فتركها  
العنان لعيونهما أن تتكلما بدلاً من ألسنتهما فتلك هي أقوى لغات الحب.  
- طبعاً قلبك هيقف دلوقتي..... قالتها إيمان وهي تهمس في أذني سديم  
تبتسم سديم وتشد علي يديها وتقوم بتهنئتها .....انتهت الخطبة مخلفة سعادة تغمر الجميع .

يستيقظ يوسف من نومه على اتصال صديقه فادي يطلب منه المجيء إليه في أمر هام...  
يصل يوسف إلى فيلا فادي....  
- قولّي بقى إنت بتهرب مني ليه؟ ... قالها فادي بنبرة غضب.  
- وأنا أهرب منك ليه يافادي؟ أنا بس كنت مشغول الفترة اللي فاتت.  
- من صغرك وإحنا مع بعض في المدرسة مكنتش بتعرف تكذب...على العموم هستناك بالليل في حفلة  
عيد ميلادي ومافيش أعذار هظبطك النهاردة ...  
لم يجد يوسف مخرجاً من ذلك الموقف فغلبته نفسه بالموافقة على ما طلبه منه فادي.

يعلو رنين هاتفه وهو يستقل سيارته عائداً إلى بيته.  
- السلام عليكم.... براحتك خالص أنا بس قولت أطمئن عليك، قالها إسلام موجهاً عتاباً ليوسف.  
- وعليكم السلام ..... العريس؟ معلش ياسمسم أنا قولت أسيبك بس وبعدين مش بشوفك في الكلية.  
- معلش الشغل بقى وكدا .... يابني بطل بكش بقي... المهم أنا كلمت عمي والنهاردة أشوفك إن شاء الله.  
- إممممم مش عارف والله يا إسلام أصل رايح مشوار.  
- مشوار إيه ده يا يوسف؟

حالة من الارتباك تظهر على يوسف فهو يعلم أن إسلام يعلم من هو فادي ويعرف ما كان عليه ففضل  
عدم إخباره علي أي شيء .

يصل يوسف إلى فادي ليجد من الحضور ما لاحصر له وأكثر الحضور كالعادة فتيات ... بدأت نفس يوسف تضعف شيئاً فشيئاً ليجد كل ما تشتهيئه نفسه نسي ذلك العهد الذي قطعه على نفسه بعدم تكرار ذلك الذنب .... ترى ما السبب في ضعف إيمانه؟ هل التزم فقط من أجل مريم ليرضي هواه أم لله؟  
.... شيء فشيء غرق يوسف في بحر شهواته وملذاته.

- يوسف وحشتني من بدري ماشوفتكش.

تفاجأ يوسف تلك الفتاة التي تدعى سوزي تذكر ذلك الموقف الذي جمعه بها ظهرت أمامه في أبهى ما قد تراه عينه .... ضعفت نفس يوسف حتى أصبح كالأسير أمام نزواته وشهواته ليجد نفسه يلبي طلب سوزي في الصعود معها إلى غرفتها.....

## الفصل الثامن عشر

### ( النفس والشيطان )

يصل إسلام إلى منزل المهندس جمال المصري في الموعد المحدد يستقبله الوالد استقبالاً حاراً فلقد أحبه بسبب أخلاقه الحسنة والتزامه... يجلس الاثنان سوياً في غرفة الصالون ويدور الحديث بينهما .....دقائق معدودات و تدخل سديم في خجل شديد وتضع العصير على الطاولة ...

- اتفضل اشرب يا بني ...

- حاضر يا عمي....

تجلس سديم في خجل شديد بجانب والدها لا يزيغ بصرها من على الأرض....يذهب الوالد ليجلس أمامهما في الغرفة المقابلة ليترك لهما الحديث...

- إزيك يا آنسة سديم؟

- الحمد لله بخير ...وحضرتك؟

- الحمد لله كويس....

بدأ إسلام الحديث عما يتمناه في أسرته المستقبلية وكيف يتصور أسرته و أطفاله...ومع كل كلمة كان يتكلمها كان قلب سديم يرقص على أوتار نبرات من شدة فرحها وتحمد الله في نفسها على عطائه.. ينتهي إسلام من حديثه ....ثم يسألها عن يوسف.

- ماتعرفيش يوسف فين؟

- لا هو قال لبابا نازل وهتأخر.

يشعر إسلام برغبة تجتاح قلبه قلقاً على صديقه..... يدخل الوالد حاملاً الكيك والشاي ويضعهم على الطاولة ...

- اتفضل يا حبيبي.

- جزاك الله خيراً يا عمي....بس بعد إذنك هستأذن أنا.

- ليه يا بني لسه بدري إنت لحقت؟

- معلش عشان عندي شغل الصبح بدري.....اتفضلي يا أستاذة سديم حاجة بسيطة.